

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ الْمُحَقِّقِ

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وهدانا إلى صراطه المستقيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين . وبعد .. فهذا النظم الشريف في فقه العبادات المُسمَّى بـ « المرشد المُعين على الضروري من علوم الدين » المعروف اختصاراً « بمنظومة ابن عاشر » ، وهو نظم شهير ذائع الصيت في فقه العبادات ، قد لقي القبول والاستحسان والانتشار بين كثير من المسلمين خصوصاً في دُول المغرب العربي ، وقد وضع ابن عاشر - رحمه الله - هذه المنظومة الرائعة ؛ لِيسَهِّلَ على المتعلِّمين والمبتدئين وغالب المسلمين معرفة أصول الأحكام الشرعية المتعلقة بأركان الإسلام الخمسة التي بُنِيَ عليها وهي : الشهادتان ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وزاد عليها بعض مبادئ التصوف ، والأخلاق ، والشَّيْم التي يجب أن يتحلَّى بها كل مسلم ، وقد سَلِمَ هذا النظم من التطويل والتعقيد الذي قد يدعو في كثير من الأحيان إلى الملل ، كما تنزَّه عن غرائب الألفاظ ، وكثرة الإبهام التي انتشرت في كثير من المختصرات ، والتي استدعت للوقوف على معانيها شروح مطوَّلة لفهم ما دلَّت عليه ألفاظها المُستَغْلَقَة بخلاف نظم ابن عاشر الذي تميَّز بسهولة ألفاظه وسلاسة عباراته ، وغزارة مادته .

وكيف لا يكون كذلك ومؤلفه - رحمه الله - من كبار علماء المسلمين الفقهاء الجامعين لمختلف العلوم الشرعية من فقه ، وأصول ، وتفسير ونحو ، وقراءات ، وفرائض وغيرها ، وما أجمل ما قاله الإمام الفقيه الأديب النحوي : عبد الله بن محمد ابن أحمد العياشي واصفاً لنظم ابن عاشر ومُثْنِياً عليه :

عَلَيْكَ إِذْ رُمْتَ الْهُدَى وَطَرِيقَهُ وَبِالدِّينِ لِلْمَوْلى الْكَرِيمِ تَدِينُ
بِحِفْظِ لِنَظْمٍ كَالْجُمَانِ ⁽¹⁾ فَصُولُهُ وَمَا هُوَ إِلَّا مُرْشِدٌ وَمُعِينُ
كَأَنَّ الْمَعَانِي تَحْتَ أَلْفَاظِهِ وَقَدْ بَدَتْ سَلْسِيلًا ⁽²⁾ بِالرِّيَاضِ مُعِينُ

(1) الْجُمَان : هو اللؤلؤ الصُّغَار ، وقيل : حَبٌّ يُتَّخَذُ مِنَ الْفِضَّةِ أَمْثَالِ اللَّوْزِ .

انظر : « النهاية » (1/301) ، « لسان العرب » (13/92) .

(2) سَلْسِيل : هو الماء البارد العذب ، وهو اسم عين في الجنة . انظر : « النهاية » (2/389) .

كيف وقد أبداه فكرُ ابنِ عاشر إمام هُدًى للمشكلات يبيِّنُ
ضلَّع من كُلِّ العلوم فَمَا لَهُ شبيه ولا في المعلومات قرين
أَعْمَلَ فكرًا سَالِمًا في جَمْعِهَا فَذَلَّ لَهُ صَغْب ولان حُرُونُ⁽¹⁾ ⁽²⁾

ويعود السبب في انتشار هذه المختصرات والمنظومات إلى أن كثيرًا من المتأخرين قد سر عليهم استيعاب ما ألفه المتقدمون من الفقهاء من دواوين كبار في مسائل الفقه ، يشقُّ عليهم حفظها واستقصاؤها ، فاستعاضوا عنها بهذه المختصرات تيسيرًا على المبتدئين ، وعملوا على تقليل ألفاظها حتى يسهل على العامة حفظها واستيعاب ما حوته من أصول الأحكام الفقهية التي يلزم معرفتها ، مع بيان القول الراجح والاقتصار عليه بعيدًا عن الأبحاث المطوّلة .

وقد اهتم أهل العلم بهذا النظم فشرحه الإمام الفقيه محمد بن أحمد الشهير بميَّارة المالكي المتوفى سنة 1072 هجرية ، وله عليه شرحان :

• الأول : شرح كبير سَمَّاه : الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين ، وهو في مجلدين تزيد صفحاته عن الألف صفحة ، وقد طُبِعَ بتحقيق سماحة المستشار العلامة السيد علي ابن السيد عبد الرحمن الهاشمي المستشار بديوان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة ، وهو شرح موسَّع كثير الفوائد ، غزير المسائل .

• الثاني : شرح مختصر عليه ، وكان من الأسباب التي دعت العلامة ابن ميَّارة إلى اختصاره ، أن أحد أمراء المسلمين من المجاهدين من أهلصلاح والتقوى وهو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد العيَّاشي أَطَّلَعَ على كتابه الكبير الذي شرح به نظم ابن عاشر ، وأُعْجِبَ به ، فأشار عليه باختصاره حتى ينتفع به جمهور المسلمين⁽³⁾ ؛ وذلك لأن شرحه الكبير كثير الاستطرادات والتفريعات ، وقد أكثر من المسائل التي أفاض في الكلام عليها ، وعرض لآراء المذهب واختلافاته فيها حتى أشبَّهَتْ كتب المتقدمين في غزارة مادتها التي قد لا ينتفع بها إلا المتخصص أو المتعمق في دراسة علم الفقه ، غير أن هذا الشرح

(1) حُرُون : هو الفرس سريع الجرى الذي لا ينقاد ، والمعنى أن العلوم قد دانت له وتمكَّن منها

انظر : « النهاية » (1/ 258) ، « لسان العرب » (4/ 128) .

(2) انظر هذه الأبيات في : « الدر الثمين » (1/ 33) .

(3) انظر ذلك مُفَصَّلًا في : « الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى » لأبي العباس الناصري

(2/ 85 - 86) - طبعة دار الكتاب - المغرب .

الصغير مع كونه مختصرًا إذا قارناه بشرحه الكبير ، لم يخلُ من التطويل والإسهاب والتوسع بالنسبة لضرورات عصرنا ، وضعف الهمم ، وفتور العزائم ، وقلة الأوقات ، وكثرة المشاغل والمُلهيات ، وتنوع الواجبات ؛ لذا عَمَدْتُ إلى اختصاره ، واقتصرت على المسائل التي تناولها الناظم دون غيرها من التفريعات التي يطول المقام بالحديث فيها ، مع ذكر أرجح الأقوال ، والمشهور في مذهب مالك رحمته الله مستعينًا بالكتب المُعتمدة في المذهب ، مع وضوح العبارة ، وبساطة العرض ، وقد بذلتُ فيه غاية الجُهد حتى يخرج في هذه الصورة المختصرة الموضحة لهذه الأحكام الشرعية التي يلزم لكل مسلم معرفتها .

عملى فى الكتاب :

يتلخّص ما قمْتُ به لإعداد هذا المصنف فى النقاط الآتية :

- 1 - رَقَمْتُ أبيات المنظومة حتى يسهل الوقوف على كل بيت فيها ، ومعرفة ما دلَّ عليه من أحكام .
 - 2 - وضعتُ عناوين لكل موضوع من أبيات المنظومة لبيان ما احتوت عليه من موضوعات فقهية تلزم معرفتها .
 - 3 - رجعتُ - فى كثير من الأحيان - عند شرحى لأبيات المنظومة إلى عدد من مصادر الفقه المالكي وكُتُب العقائد ذات الأسلوب السهل اليسير تاركًا عبارة ابن ميارة فى شرحه « الكبير » و « الصغير » حتى يتسنى لكل من قرأه الوقوف على الأحكام الفقهية التي تناولتها أبيات المنظومة بأيسر طريق .
 - 4 - استعنتُ بالمصادر المعتمدة فى المذهب لترجيح ما وقع فيه الخلاف ، وذكرتُ القول المشهور عند المالكية .
 - 5 - ترجمتُ لصاحب المنظومة الإمام ابن عاشر ، وذكرتُ أشهر مصنفاته .
- وختامًا أسأل الله أن ينفع به سائر المسلمين ، وأن يجعله ذخراً لى يوم الدين ، إنه تعالى نعم المولى ونعم المعين .

كتبه أفقر العباد إلى الله

أحمد مصطفى قاسم الطرطاوى

سوهاج - مركز طهطا